[illegible]
برية شيهيت

المسيحي في الأسرة

للأب متى المسكين

القصد من هذه المقالة هو توضيح موقف الإنسان المسيحي تجاه الأسرة، وقد التزمنا بنظرة الإنجيل الذي يجعل من حياة الفرد في الأسرة منطلقاً عملياً لحياة روحية ثم يجعل من الأسرة منطلقاً للكنيسة التي تفتح بدورها على الملكوت.

ولكن الذي ينبغي أن نوجه إليه ذهن القارئ هو أننا نحاول كشف العمق الروحي الذي في الإنجيل وتقريبه إلى روح القارئ لا لكي تنمو المعرفة وإنما لتزداد التقوى.

الطبعة الرابعة ١٩٩١

الثمن ٣٥ قرشاً

كتاب : المسيحي في الأسرة
المؤلف : الأب متى المسكين
الطبعة الأولى : ١٩٦٥
الطبعة الثانية : ١٩٨٠
الطبعة الثالثة : ١٩٨٦
مطبعة دير القديس أنبا مقار — وادي النطرون

المحتوى

صفحة

مقدمة ٥

نظرة فاحصة لمعنى محبة الأهل وبغضتهم في الإنجيل ٨

(المحبة الكاملة ــ هل الإنجيل ينتقص من روابط الأسرة ؟ ــ محبة خادعة ــ بغضة طاهرة ــ التحول الروحي الباطني ــ رجعة الإنجيل ــ جهالة المحبة العاطفية ــ حكمة المحبة الإلهية)

جئتُ لأفرِّق ١٨

(قبول أو رفض ــ له أو عليه ؟ ــ تؤمن أو لا تؤمن ؟ ــ ليس لهم عذر ــ فقدان استحقاق المسيح ــ إيجابية التفرقة ــ حينما تستخدم الأسرة سلطانها ضد المسيح ــ تخلُّف الأسرة عن الإنسلاخ من الطور الجسداني إلى الطور الروحاني ــ الحنين إلى رفات الموتى والقبور)

نجاح الإنجيل وتحرُّر روح الإنسان من جذب الجسد ٢٧

رسالة الأسرة ٣٠

مقدمة

الإنسان أخٌ لكل إنسان ؛

هذه الحقيقة تريحنا أحياناً ، وتصدمنا أحياناً ، ننادي بها في أوقات السمو الروحي والتجلي ثم ننكرها عندما ننهزم تحت ثورة الذات وإلحاح التعصب ، ولكن بالرغم من كل الظروف التي تحول بيننا و بين صداقة ومحبة أي إنسان مهما قست الظروف ومهما قسى ذلك الإنسان ، فالإنسان لا يستطيع أن يتجرد من روح الأُخوَّة ، لأن ذلك يكون معناه تجريد الإنسان من إنسانيته . ولكن فوق الإنسانية ينتظر الإنسانَ عملٌ أعظم !

+ **توجد أُخوَّة جسدية** ، وليدة اللحم والدم متسلسلة من آدم وحواء يوجدها أب وأم ترعاها الأسرة و يضمها الوالدان ، هذه الأُخوَّة تموت بموت اللحم والدم فلا توجد ، وقد تلغيها المنافع أو البغضة ؛

+ **وتوجد أُخوَّة إنسانية للإنسان عامة** ، تستمد كيانها من الله نفسه **بصفته أبا الأرواح جميعاً وخالقها ومُوجدها من نسمته** ، فهي منسوبة إليه ، داخلة تحت عنايته وتدبيره ، سواء شاءت تلك الأرواح أو لم تشأ ، عَرَفَتْ أو لم تعرف ، أحبَّت أو لم تحب !

فالله أبو الإنسان كله بضرورة الخلق ، و بالله أصبح كل إنسان على وجه الأرض أخاً لكل إنسان كحقيقة لا يمكن تجاهلها .

+ **وتوجد أُخوَّة روحية** ، فالأُخوَّة الإنسانية التي آشترك فيها يسوع المسيح آبن الله بالتجسد ، قدَّسها ودعاها للدخول مع أُبوَّة الله في رباط أبدي بصفته آبناً أزلياً وحيداً للآب ومن جوهره . فأصبح كل إنسان بالإيمان أخاً ليسوع المسيح : «لأن المقدِّس والمقدَّسين جميعهم من واحد . فلهذا السبب **لا يستحي أن يدعوهم إخوة** ... من ثم كان

ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً.» (عب ٢: ١١و١٧)

وبذلك دعَّم المسيح ـ تمجَّد اسمه ـ الأُخوَّة البشرية ونقلها من وضعها الإنساني العام إلى وضعها الإلهي الخاص، إذ دعا تلك الأرواح بالإيمان به لقبول الإشتراك في بنوتّه الخاصة للآب وذلك بالإتحاد به: «كانوا لك (أبناءً) وأعطيتهم لي (إخوة)... وكل ما هو لي فهو لك. وما هو لك فهو لي وأنا ممجَّد فيهم... ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم... ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني **ليكونوا واحداً**، كما أننا نحن واحد.» (يو١٧: ٦ـ٢٢)

وهكذا نقل المسيح الأُخوَّة الإنسانية من موطنها الأرضي، كخليقة بعيدة عن الله، إلى موطنها السمائي لتكون قريبة جداً من الله. «...ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم»... «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني وأكون أنا فيهم» (يو١٧: ١٤و٢٦)!

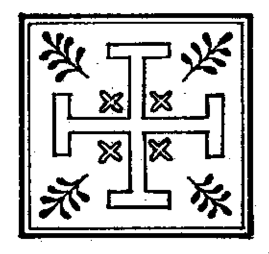
إذن هناك ثلاثة أنواع من العلاقات البشرية:

١ ـ علاقات جسدية وليدة اللحم والدم، مآلها إلى العدم والفساد إن هي بقيت سجينة للعواطف الجسدية.

٢ ـ وعلاقات إنسانية صرف، يزكيها الخضوع لله الواحد خالق الجميع؛ وتحتِّمها وحدة الحياة والألم في العالم: «...عالمين أن نفس هذه الآلام تجري على إخوتكم الذين في العالم» (١بط ٥: ٩)، وهذه باقية ما بقي العالم، عزيزة وكريمة ما دام يجمع الإنسان عِرق واحد وألم مشترك.

٣ ـ وعلاقات روحية سمائية، أوجدها يسوع المسيح فينا بتجسده: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما» (عب٢: ١٤)، ثم بقيامته

وجلوسه عن يمين الآب «وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (أف٢: ٦)، ثم وهبنا لنا بروحه القدوس. وهذه العلاقة الجديدة «أهل بيت الله» هي أثمن من علاقة اللحم والدم وأسمى من شركة العِرْق والألم، وأعزُّ من كل الحياة على الأرض...



نظرة فاحِصَة

لمعنى محبة الأهل و بغضتهم في الإنجيل

المحبة الكاملة :

الإنسان الروحي ينبغي أن يسمو بكل شيء و بكل وضع، لأنه مدعو من الله ليعيش حسب الروح. هذه الحقيقة جديرة أن ينقشها كل إنسان على قلبه وعلى فكره وعلى كافة حواسه، ليضبط بها كل حركة تصدر منه و يقيس عليها كل حركة تصدر إليه؛ فلا يحيد عن مطلب الروح القدس الواحد أي تقديس كل شيء لله!!

علماً بأن هدف المسيح في تعاليمه وفي تقديم نفسه ذبيحة عن الإنسان لا يقف عند حدّ إسعاد الإنسان على الأرض، لا في المثالية الفردية ولا في مثالية الأسرة ولا في المثالية الإجتماعية عموماً، ولكن يتعدى كل هذا إلى اكتمال إيمان الإنسان بالله بالمحبة الصادقة التي ينبغي أن يرفعها فوق كل مصلحة ذاتية أو عائلية أو أجتماعية أو عالمية.

وهدف الإنجيل دائماً أبداً هو أن ينمو الإنسان بهذه المحبة فوق كافة الإعتبارات و بالرغم من كل الضعفات والعيوب والخطايا، لأن في **اكتمال الإيمان بالله ومحبته يكمن سر تحرُّر الإنسان من كافة ضعفاته وعيوبه وخطاياه و يكمن سر اتحاده بالآخرين في روح واحد وجسد واحد.**

وإن كان الإنسان مدعوًّا للجهاد بكافة أنواع الجهادات لبلوغ هذه الحرية وهذه الوحدة العظمى بواسطة المحبة، فأول جهاد يضعه المسيح على الإنسان **هو أن يجاهد ضد نفسه.** لأن النفس، في وضعها الطبيعي الغريزي، تطلب محبة الآخرين لذاتها وتحب الآخرين أيضاً لذاتها. **فهي أعدى أعداء المحبة لأنها تحصر المحبة وتغلق عليها في الفردية النفعية التي مآلها إلى الزوال**، لذلك نجد أن كافة تعاليم المسيح تقف ضد هذا

الحب النفعي الفردي الذي ينتهي بتضخم الذات البشرية وقتل المحبة.

+ فهو يطالب الإنسان أولاً أن **يبغض نفسه**، حتى يصبح حبه نحو الآخرين للآخرين وليس لنفسه. وهذا أول تأمين لخلود المحبة وامتدادها.

+ ثم يطالب الإنسان أن لا ينغلق في حب الأهل والأقارب، حتى لا تنحصر المحبة في اللحم والدم وتموت المحبة خارج الأسرة.

+ ثم يطالب الإنسان في مَثَل السامري الصالح **أن لا ينغلق في حب بلده ومواطنيه فقط**، حتى لا تتقيد المحبة وتنحبس في تخوم البلاد والأوطان؛ لأن المحبة رسالتها الإلهية تغطي كل الأرض.

ومن هذا يتبين أن **كمال الإنجيل الذي يسعى الإنسان نحوه يتوقف على صحة حركة الحب داخل القلب**، سواء في دوافع هذا الحب أو أهدافه حتَى تنطلق المحبة وتكمِّل عملها الإلهي.

والإنسان سعيد بالمسيح الذي هيأ داخل قلب الإنسان دوافعَ وأهدافاً للحب قوية وحية ونفاذة بواسطة شخصه المحب وبواسطة روحه القدوس، تفوق إغراء محبة الذات وتسمو على حنان الأُبوة والأُمومة والصداقة وتعلو فوق حنين البلدان والأوطان.

وإنَّ قوة المسيح على جذب قلب الإنسان ترجع إلى أنه سبَّاق في محبته، فهو يستحيل أن ينتظر محبتك أولاً، بل لا بد أن يكون هو البادىء. لذلك في اللحظة التي فيها يرفع الإنسان عينيه إلى المسيح ويخفق قلبه بالحب نحوه، يحس أن المسيح كان واقفاً منتظره بنظرة أكثر حباً وقلب أكثر خفقاناً.

لذلك فحينما يطلب المسيح منا أن نحبه فوق الذات وفوق الأهل وفوق الوطن، فهو يهيىء لنا بذلك فرصة لتنسكب في قلوبنا محبته الإلهية الفعالة لتبدأ عملها فينا حتى نبلغ

إلى كمال الإنجيل وحب جميع الناس.

هل الإنجيل ينتقص من روابط الأسرة؟

قد يبدو المسيح في مواضع كثيرة عنيفاً على العلائق التي تربط الإنسان بأبيه وأمه أو أخيه وأخته أو ابنه وابنته أو زوجته؛ فيتخذ البعض من هذا العنف ميلاً إلى الإزدراء بالأسرة والترفُّع على روابط الجسد قد يصل إلى المهاجمة أو الإزدراء بداعي الروحانية وتكريم الروحيات. ولكن مثل هذا السلوك والتعليم غريب عن المسيح. فهل ننسى قوله من جهة الوالدين: «لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم. فإن الله أوصى قائلاً أكرم أباك وأمك، ومن يشتم أباً أو أماً فليَمُتْ موتاً.» (مت ١٥: ٣،٤)، وكذلك قول القديس بولس الرسول: «أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب لأن هذا حق» (أف٦: ١). أما من جهة العلاقات بالزوجة فقد بلغ بولس الرسول القمة في تكريمها حتى شبهها بما بين المسيح والكنيسة ــ (وهو البتول الذي رفع البتولية فوق كل اعتبار). وبذلك جعل العلاقات التي تربط الزوج بزوجته مقدسة غاية القداسة بما فيها من روابط جنسية.

إذن، فما هو سبب موقف العنف والبغضة الذي يتخذه الإنجيل بعد ذلك تجاه من سبق ورفعهم وقدسهم إلى هذا الحد، إذ يقول: «إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لو١٤: ٢٦)؟ هل يمكن أن يكون ذلك مبعثه احتقار روابط الأسرة تكريماً للروحيات؟ إذن، فعلى أي أساس طلب الإنجيل أولاً تكريم الوالدين والزوجة؟ ألا يكون في هذا مناقضة واضحة؟؟

محبة خادعة:

الحقيقة أن الإنجيل دائماً أبداً عنيف ليس على الآخرين، وإنما على الإنسان الذي يميل دائماً أن يتوه في الآخرين و يتواطأ مع أي شعور بالعطف البشري، فينسى الجهاد

الموضوع أمامه و ينحاز إلى حنان اللحم والدم ويهرب من طريق الله.

فالإنجيل لا يحرض على بغضة الأب والأم والأخ والأخت والزوجة والأولاد في **ذواتهم**، ولكن تهذيباً للنفس التي تميل بطبيعتها لتجعل من محبة الأقارب راحة ولذة واكتفاءً ووطناً شخصياً عوض الله!

إذن، ثِقْل البغضة في الوصية هنا لا يجوز أن نجعله يقع على الأب أو الأم أو أي فرد في الأسرة، ولكن ينبغي أن نركزه نحو أنفسنا ليقع على الذات وحدها التي تريد أن تتغذى على عواطف المحبة الجسدية من وإلى الآخرين، لترتاح وتضرب جذورها في تربة الأرض الملعونة وتنسى رحلتها الخالدة إلى الأبدية عَبْر العالم والجسد!!

البغضة التي يطلبها المسيح بالنسبة للأب والأم وكافة أقارب الإنسان لا تحتمل إلا معنىً واحداً، **وهو حرمان الذات من التلذذ والإستغراق في عطف المحبة النفساني القائم والمستمد من رباط اللحم والدم أي من تراب الأرض!! هذا الذي من طبيعته أن يزيِّف المحبة الإلهية ويحل محلها.**

بغضة طاهرة:

الإنسان المسيحي عموماً مدعو إلى الحركة والإمتداد إلى **أعلى** إلى الله، حيث عبء الحركة والإمتداد إنما يقع على الروح الخالص الذي يحيا على كلمة الله و يتشدد بنعمته. وأساس هذه الحركة هنا هو المحبة، المحبة نحو الله التي تجعل للحياة معنى، وتقوِّم طريق الإنسان فلا يميل ولا يعتسف بل ينمو باطِّراد، ولا يبقى أبداً كطفل بل يصير من يوم ليوم إلى قامة الرجولة رجولة المحبة، أي المحبة لله، أكثر من كل إنسان وأكثر من النفس ذاتها؛ **محبة كاملة حتى ولو كان يحملها قلب ضعيف ملوث بالخطايا!! ولنا في مثل المرأة الخاطئة، التي أحبت كثيراً وقُبل حبها، عونٌ لا يُستهان به.**

ولكن الإنسان المسيحي يعيقه الجسد عن أن يتحرك باستمرار إلى فوق. فللجسد

حـركـة **أفـقية** من الأرض وإلى الأرض تتركز في غرائزه وعواطفه وتتعارض باستمرار مع حـركـة الروح فـتـشـكـل صليباً، هذا الصليب لا يمكن تجاهله ولا يمكن تجاوزه وهذا هو الـذي يـعـبّـر عنه المسيح هنا بقوله: «إن كان أحد يأتي إليّ ولا **يبغض** أباه وأمّه وامرأته وأولاده وإخوتـه وأخَـواتِـه حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لو١٤: ٢٦). يلاحَظ هنا أن المحبة مع البغضة جسَّمت صليباً مؤلماً داخل قلب الإنسان. ومعنى ذلك أن الإنـسـان الـمـسـيـحـي مـدعـو باستمرار لحمل صليبه في قلبه إن هو أراد وصمم أن يتحرك و ينمو نحو الله في عبادة وقداسة وتقوى وأصوام وأسهار وتكر يس حياة. لأن أول ما يعوق الإنسان في هذا هو نفسه وعاطفته نحو ما يحبه ومن يحبه.

ولـكـن **لـيس مـعنى هـذا أن الإنـسان المسيحي يلقي بثقل صليبه على الآخرين فـيـبـدأ يـكـره أهـلـه و يـعتزلهم، ولكن الذي يحتاجه في الحقيقة هو أن يبغض ذاته و يـعتزل ميوله وأهواءه الغريزية ـــ بمعنى أنه مدعو أن يبغض الآخرين في نفسه لا أن يـبـغـض الآخـرين في أنفسهم**. أو بمعنى أوضح إن المسيح يطالبنا أن نبغض حركة الجسد لا حركة الروح، لأن كل حب مبعثه الجسد هو ميت ولا يُعتبر حباً بل شهوة، أما كـل حـب مـنـبـعـث من الروح فهو حياة وهو بحد ذاته قداسة وعبادة!! والحب الروحاني مصدره الله وغايته الله.

لـذلـك، فـكل إنسان سواء كان أباً أو أماً أو زوجة أو أولاداً، يحاول أن يتلاقى معنا في محـبـة لـيـسـت مـصـدرهـا الله وليست غايتها الله، فهو في الحقيقة عدو لنا لأنه يثير فينا كـوامـن الـغـريـزة والعاطفة الجسدانية التي من شأنها أن تطفىء الحب الإلهي فينا وتوقف حـركـة الـروح في عبادتها وامتدادها نحو الله. هنا ينطبق قول المسيح أنَّ «أعداء الإنسان أهل بيته»، لأنهم يملكون غرائزنا و يتسلطون بحكم روابط اللحم والدم على عواطفنا.

ولـكـن حتى في هذا الوضع لا يعني المسيح من بُـغضهم أن نبغضهم في أنفسهم، لأنه هـو الـذي قـال: «أحـبوا أعداءكم». فالبغضة هنا لا ينبغي أن تتجاوز ذواتنا وعواطفنا

الميتة، إلى أن نبلغ التحرر الكامل من شد وجذب الجسد. **فالبغضة هنا عملية قمع داخلي ونسك، تهدف إلى حب روحاني صافٍ، لا تكمل إلا بتدخل المسيح، «فإن حرركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحراراً.»** (يو٨: ٣٦)

أما الحرية هنا فهي حرية من الجسد ودوافع غرائزه التي تعرقل انطلاق الإنسان إلى غايته العظمى، أي محبته الكاملة الصافية لله والناس.

إذن واضح غاية الوضوح أن «البغضة» هنا عملية إيجابية طاهرة تدفع الحركة الروحانية الممتدة إلى فوق أي المحبة ولا تعرقلها، لكي تبلغ كمالها. ولكن واضح أيضاً أن بدون حركة الروح ونموها في الله، أي بدون محبة الله، تصير هذه البغضة خطيئة قاتلة للنفس!! إذن فسرُّ طهارة هذه البغضة هو أنها: **أولاً:** متحولة من ذاتها إلى حب، **ثانياً:** هادفة إلى حرية الروح، **ثالثاً: ليست منصبّة على آخرين وإنما منحصرة في قمع دوافع محبة خاطئة داخل قلب الإنسان.**

التحول الروحي الباطني:

ولكن بمجرد أن يجحد الإنسان هذه العواطف الدموية الميتة بشجاعة الروح **دون أن يزدري بها،** جاعلاً قلبه كله لله **دون أن يفقد تكريم العلاقات الأسرية،** وأن ينتصب للجهاد الموضوع أمامه لإماتة الجسد ومسراته وأهواء النفس وميولها الترابية و ينجح؛ حينئذ يبتدىء الإنسان يحب كل شيء وكل الناس سواء الأب أو الأُم وكافة الأقارب والحياة كلها حباً روحياً خالصاً، أكثر غنىً وأكثر فاعلية لأنه لا يكون منبعثاً من الغرائز الجسدية الميتة وإنما ينبعث من مشيئة الله وحبه القادر أن يقيم من الموت: «مَنْ هي أمي ومن هم إخوتي؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي وإخوتي. **لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي.»** (مت ١٢: ٤٨ــ ٥٠)

ويخطىء من يظن أن في قول المسيح هنا انتقاصاً من تكريمه لأُمه العذراء، لأن المعنى ينصبُّ بكل وضوح وقوة على محاولة المسيح رفع أذهان سامعيه لقيمة ومستوى تكريم

العلاقات التي تربط الإنسان بالأُم والإخوة في العهد الجديد، ونقلها من وضعها العاطفي الجسدي المحصور في أفراد ـــ حسب العهد القديم ـــ إلى وضعها الروحي الفائق المحصور في الله . أي أن الإنسان يكرم والديه بدوافع روحية . وهذا لا يلغي تكريم الوالدين والأقارب ، وإنما يجعل تكريمهما مرتبطاً بجدود عمل مشيئة الله وليس بعمل عواطف الجسد . وفي ضوء كلام المسيح ،يتسع معنى الأُمومة والأُبوّة والأُخوّة والبُنُوّة ليشتمل في العهد الجديد كافة الذين يعملون مشيئة الله سعياً للخلاص .

وفي هذا نجد أنفسنا وجهاً لوجه أمام معنى الكنيسة !! فالكنيسة هي بمثابة الأسرة الجديدة « أهل بيت الله » ، أمومتها مستمدة من الله وأُبوّتها مستمدة من الله وأُخوّتها وبُنُوّتها مستمدتان من الله أيضاً . فكل مَنْ في كنيسة المسيح و يسعى للخلاص حسب مشيئة الله ، هم أبي وأمي وأخي وأختي .

إذن فرسالة المسيح الجديدة من نحو الأسرة ، هي رفع العلاقات التي تربط الأفراد ، وتحويلها من وضعها العاطفي الضيق المحدود بالجسد إلى وضعها الروحي بمفهومها السمائي المحدود فقط بمشيئة الله وخلاص النفس . وهنا تظهر الإضافة التي أضافها القديس بولس الرسول على الوصية القديمة غاية في الدقة والإحكام « أيها الأولاد أطيعوا والديكم ,, **في الرب**،، لأن هذا حق » (أف ٦ : ١) .

وهنا تقدمت طاعة الرب على طاعة الوالدين بأن صارت طاعة الرب مصدراً لطاعة الوالدين .

هنا يفترض الرسول أن الوالدَيْن يعيشان في الرب بتقوى الله ، وهذا وضع جديد يلزمنا أن نحسب له ألف حساب . إذ أن الطاعة هنا تصير لا واجبة فحسب بل كعبادة في حد ذاتها . حيث ترتفع منزلة الأبوين لتصير في درجة الأُبوّة الروحانية . وطوبى للإبن الذي يرشده أبوه الجسداني في طريق الله ، و يسقيه من المحبة الإلهية ، و يبذل من أُبوّته ليكرم أُبوّة الله في قلب ابنه .

رجعة الإنجيل :

ولكن لا يزال للإنجيل رجعة على المستهترين بخلاص الآخرين **فهو لا يبارك أي طاعة إذا لم يكن مصدرها مشيئة الله لخلاص النفس** ، بل يحتفظ بغضبه ضد كل من يحاول أن « يُعثر أحد هؤلاء الأصاغر» . كما أن المسيح يعتبر أن الأهل يصيرون بمثابة أعداء ، إذا هم حاولوا أن يصدوا أي إنسان في البيت عن خلاص نفسه سواء كان صغيراً أم كبيراً .

فمرة نسمع أن الذي يُعثر ولداً صغيراً يحكم عليه الإنجيل أنه خير له أن يُعلّق في عنقه حجر رحى و يلقى في البحر، ومرة أخرى أن الذي يقول لأخيه كلمة معثرة يستوجب الحكم ونار جهنم .

كما أن الذي يحب أباه أو أمه أكثر من المسيح لا يعود يستحق المسيح ، بمعنى أن الذي يفضل طاعة عواطفه الشخصية لأمه أو لأبيه أو لابنه أو لزوجته أكثر من طاعة المسيح التي تقوم على إماتة هذه العواطف ؛ يتعوق عن حمل الصليب والمسير خلف المسيح .

هنا تفضيل محبة الأم أو بقية الأهل هو، في الحقيقة وعين الأمر، محبة للذات **أكثر منها محبةً للأم أو بقية الآخرين** ، لأن الإنسان الذي يحب أمه إنما هو في الواقع يدلل ذاته وعواطفه و يشبع تصاغر نفسه وغريزتها الحيوانية ، وهذا جنوح إلى المرض النفساني متخفياً وراء الوصية « أكرم أباك وأمك » . والمسيح مُحِقٌ إذ يعتبر أن مثل هذا الإنسان الذي يستسلم لعواطف الأمومة أو الأبوة الجسدية غير جدير بحب المسيح الذي يستلزم حمل الصليب كنوع فائق للشجاعة والإقدام وتحرر الذات .

أما وإذا كان الوالدون هم الذين يتعطفون نحو محبة أولادهم أكثر من المسيح ، بمعنى أن يمنعوهم عن العبادة والإنقطاع لتكريس حياتهم لله لمجرد الخوف عليهم أو بسبب عدم احتمال فراقهم ، وحينئذ يرضخ الإبن أو ترضخ الإبنة ، فهنا تكون الخطيئة مشتركة إذ تُحسب الأم غير جديرة بالمسيح و يُحسب الإبن أو الإبنة كذلك أيضاً ، لأنهما اتفقا على

جعل المسيح ثانياً لعواطفهما جاعلين اعتبارات الجسد أهم من اعتبارات الروح مع أن الجسد ميت . ولن يتبقى من هذه التدللات إلا حسرات مُرَّة بعد الموت .

جهالة المحبة العاطفية :

وحب الأب والأم لأولادهما إن هو زاد عن القدر الذي تستلزمه قامة الطفولة فيتعداها إلى دور الرجولة بنفس النوع والقدر، يكون ذلك إساءة أشد إساءة لنفسية الشاب أو الفتاة ، إذ يخلق في نفسيتهم نوعاً من التعلق المريض بالوالدين و يصيرهم عاجزين ، لا عن الإنطلاق لحب المسيح وخدمته فحسب ، بل وعن القيام بمهام الحياة ومجابهة الصعاب بروح حرة شجاعة مستقلة .

وكذلك حب الأولاد لوالديهم إن هو استمر بنفس التعلق والعاطفة التي ارتبطوا بها معهم في طفولتهم ، فإنه كفيل لا أن يفسد حياة الأولاد فقط بل وحياة الوالدين أيضاً في كبرهم وشيخوختهم ، فالأولاد تفسد علائقهم بزوجاتهم والوالدان يستمرئان العطف المتزايد حتى يفقدا القدرة على الإستقلال والإعتماد على الله في شيخوختهما .

حكمة المحبة الإلهية :

والذي ينبغي أن يعرفه كل إنسان أن المسيح لما أعطى وصاياه الروحية للإنسان ، أعطاها وهو على بيِّنة من قيمة هذه الوصايا ونفعها للإنسان ليخلق فيه شخصية كاملة حرة طاهرة شجاعة نيرة خالية من أثر الخطيئة الممرض للنفس .

فما يبدو من الوصايا أنه إجحاف بالطبيعة الإنسانية أو انتقاص من العواطف البشرية والنفسية ، إنما هو في الحقيقة علاج فعال للذات التي تتغذى على الأنانية وحب الجسد بل وتحاول أيضاً أن تغتصب نصيب الله في الإنسان .

فحينما يطلب الله ، بالأمر، أن يكون له النصيب الأول والحب الأول وأن تُطاع وصاياه أكثر من الأب والأم وحاجة الجسد وعواطفه ، فهو يُظهر بذلك اهتمامه كيف

يجرِّد الإنسان من عوامل الموت (الروحي) المتشبثة بها الذات والغرائز!

انظروا أي حب هذا وأي اهتمام بالنفس البشرية!

أنظر للوصية « من أحب إبناً أو إبنة أكثر مني فلا يستحقني ! » ، كيف يعالج هنا المسيح أنانية الإنسان وتعلقه بغرائزه وعواطفه الميتة التي تسيء لروحه هو ثم لنفوس الآخرين معه ؟ .

وهل المسيح في حاجة إلى حب الناس حتى يطلب بهذا الإلحاح والسلطان أن يُحَبَّ فوق كل حب ؟

ولكن هذه الوصية تكشف في الحقيقة عن حب المسيح العجيب للإنسان ، كيف أنه يتحايل بكافة الطرق حتى أنه يطلب الحب لنفسه وذلك لإنتشال الإنسان من وحل الغرائز ليضعه في مصاف الروحانيين .

جـئـتُ لأُفرِّق

قبول أو رفض ؟

أينما طُرِحتْ وصية المسيح في وسط أي جماعة تقسمها إلى قسمين :

+ قسم ينفعل بها بفرح ، فيتفاعل معها في جدية ورزانة حتى يبلغ أعماقها . هؤلاء هم الروحيون الذين تنفتح بصيرتهم سريعاً فيدركوا حقيقة الروح ودوامها وتفاهة الجسديات وزوالها .

+ وقسم آخر لا ينفعل بالوصية ، فيتنافر معها إما علناً فيسدُّ الطريق على نفسه منذ البدء فيُنصِّب نفسه عدواً سافراً لوصايا المسيح وكلام الإنجيل و يسفِّه فيهما ما أمكن ، وإما سرًّا فيحتدم الصراع الداخلي و يستمر إلى أن تتشكل النفس على طول السنين بشكل مزيف تستطيع به أن تظهر أمام أولادها وإخوتها كأنها على وفاق مع الإنجيل وهي في حقيقتها تكون متغربة بالنسبة للروح والله . فهي حتى وإن كانت تنفعل للروحيات فإنما يكون انفعالاً ممالئاً كاذباً لتخفي نتانة رائحتها عن الأقربين إليها . والذي يكشف هذه الممالأة ، أن النفس في هذه الحالة لا تتفاعل بأي وصية وتتهرب من الإنجيل ومن الإستماع إلى أحاديث الروح ومن ملاقاة الروحيين ما أمكن ...

له أو عليه ؟

هؤلاء هم الروحيون وهؤلاء هم الجسديون ، وقد يكونون معاً في أسرة واحدة ، والمسيح جاء ليفرق بينهما تفرقة حادة كما يفرق السيف حينما يرتفع في يد الحاكم بين العدو والمواطن أو بين الجاني والبريء .

« ما جئتُ لأُلقي سلاماً بل سيفاً » (مت ١٠ : ٣٤) . هذا القول قاله الرب يسوع المسيح وهو الحمل الهادىء الوديع الذي جاء ليحمل خطايا العالم . ولكن للمسيح

مواقف عنيفة وكلمات أشد قطعاً من سيف ذي حدين رأيناها وسمعناها في أمر الكتبة والفريسيين والناموسيين وكل الذين عاشوا بالرياء الديني . فالمسيح ليس هيّناً حينما يُشْمَخُ عليه « لا تضلُّوا . الله لا يُشْمَخُ عليه » (غل٦ : ٧) . إذ لم يقع عليه إنسان قط إلا وترضّض ، و يستحيل إن هو اصطدم بأحد إلا و يسحقه ، فهو صخر الدهور الذي لا يتلاطف مع الكبرياء ولا يقبل الرياء فإما له وإما عليه ، ومن لا يجمع معه فهو لا يُحسب إلا مبدِّداً ... وقد سبق وقال محذراً : « طوبى لمن لا يعثر فيَّ . » (مت ١١ : ٦)

تؤمن أو لا تؤمن ؟

عُرِفَ عن المسيح أنه كان ولا يزال محباً للعشارين والخطاة . وقيل عنه أنه ذهب ليبيت عند رجل خاطىء ؛ وصفح علناً عن امرأة خاطئة مشهود عليها أُمسكت في ذات الفعل ؛ وأكرم امرأة أخرى خاطئة معروفة في المدينة التي بكت عند قدميه ؛ وطلب أن يدخل بيت زكا العشار ؛ وكان على العموم شديد العطف على الخطاة والضعفاء والمساكين الذين كانوا يؤمنون به و يسعون خلفه أينما سار.

ولكنه كان ولا يزال يمقت الذين يتباعدون عنه و يسدون آذانهم عن كلامه وهددهم أنهم سيبقون في خطاياهم إلى الأبد وسيمكث عليهم غضب الله . وقد فضح سر عدم إقبالهم على سماع كلماته بقوله : « فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي . الذي من الله يسمع كلام الله . **لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله** » (يو٨ : ٤٦ و٤٧) .

فالذي يرفض طاعة المسيح و يتجنب وصاياه فهذا دليل على عدم إيمانه بإبن الله ، مهما ادَّعى بفمه أنه يؤمن و يقشعر. لأن الذي يؤمن بإبن الله ينبغي أن يرفع المسيح فوق كل اعتبار، أما الذي لا يؤمن بإبن الله فهو يقع ضمناً تحت دينونة الخطاة إذ لا يكون له مخلِّصٌ ولا شفيعٌ ولا ذبيحةُ كفارةٍ .

فالمعروف عن المسيح أنه يقبل جميع الذين يأتون إليه ولا يُخرج أحداً خارج قلبه ،

ولكن الذي يضع المسيح خارج قلبه بل وخارج بيته كيف يظن أنه يكون له نصيب مع المسيح ؟

ليس لهم عذر:

هنا تقع ، اضطراراً ، التفرقة حتى ولو في أعضاء الأسرة الواحدة بين الذين يؤمنون بالرب و يسمعون كلماته ويحبونه ويحبون وصاياه ، والذين لا يؤمنون بالرب ولا يسمعون له ولا يحبونه .

ولكن لا يُظَنُّ أن الذي يبغض المسيح يبقى في النور، فإن من طبيعة النور الأصيلة أنه لا يحب الظلمة ولا يأتلف معها . هكذا أيضاً المسيح لأنه وإن كان قد اتسع قلبه لأخطى خطاة الأرض وجعل فرصة رجوعه مفتوحة أمامه دائماً ، إلا أنه هكذا يضيق قلب المسيح وهكذا ينقفل في وجه من يقطع فرصة المجيء إليه ويحتقره و يزدري بأقواله و يبغضه مجاناً و بلا سبب .

ـــ « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم ، الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً ، لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي ، لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم إنهم أبغضوني بلا سبب . » (يو١٥ : ٢٢-٢٥) .

والقديس بولس الرسول يزيد على ذلك بقوله : « إن كان أحد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن محروماً » (١ كو١٦ : ٢٢) مشيراً بذلك إلى انفصال الإنسان الذي يبغض المسيح وأقواله عن بقية الجماعة التي تحب المسيح وتسمع أقواله .

فقدان استحقاق المسيح :

والواقع أن المسيح جاء ليفرق بين النور والظلمة ، و بين الحقيقة الأبدية و بطلان العالم الزائل ، وهو يعمل هذا بطبيعته النيِّرة وكلماته الحية ذات السلطان النافذ

كالسيف ، فشخص المسيح كفيل إذا حضر في وسط أي جماعة أو أسرة أن يفرق بين الذين يبصرون الحق و بين الذين يتعامون عنه ، بين الذين « أحبوا الظلمة » و بين الذين «أحبوا النور» .

لذلك يقول المسيح نفسه هكذا :

ــ « أنا هو نور العالم » (يو ٨ : ١٢)

ــ « لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون و يعمى الذين يبصرون ! » (يو ٩ : ٣٩)

ــ « فإني جئت لأُفرِّق الإنسان ضد أبيه والإبنة ضد أمها والكنَّة ضد حماتها » (مت ١٠ : ٣٥)

ــ « ما جئت لأُلقي سلاماً بل سيفاً » (مت ١٠ : ٣٤)

هنا يشير المسيح بقوله « **أفرِّق الإنسان ضد أبيه » إلى الصدام العاطفي الذي ينشأ حتماً بين الإبن والأب . حينما تدخل كلمة المسيح قلب الإبن أو الأب فتهبط القيم العاطفية وتنقلب موازينها** ، ولكن كلمة « ضد أبيه » تعود وتأخذ صورة المقاومة والعنف ، وذلك حينما ينحاز الإبن للمسيح علناً وتنكشف نيات الأب أنه لا يحب المسيح وفي نفس الوقت يريد أن يحتفظ بحب ابنه ولو بالضغط ، معتبراً ذلك كحق من حقوق الأبُوَّة الجسدية... ولكن هنا ينبري المسيح ليعلن حقه الأبدي وسيادته فوق اللحم والدم : « من أحب إبناً أو إبنة أكثر مني فلا يستحقني !! » .

وكأنما المسيح بهذا الإعلان ، ينذر كل أب بفقدان استحقاقه في المسيح بل وفي ابنه أيضاً إذا هو قدَّم الحقوق الجسدية على الواجبات الروحية !! و بالتالي عندما يصرح المسيح أنه جاء ليفرق « الإنسان ضد أبيه » ، يعلن بهذا اكتساب الإبن حق طاعة المسيح فوق طاعة الأب الجسداني عندما يكون ذلك الأب فاقداً لحب المسيح أو مقدماً لواجبات الجسد على واجبات الروح . [مع بقاء الولاء والخضوع الجسدي وإكرام الوالدين على

أعلى درجة من الإحترام والتوقير.]

إيجابية التفرقة :

وربما يتراءى للنظر البشري أن في القول بأن المسيح جاء ليفرق الإنسان ضد أبيه ، إخلالاً بمنطق الروح ؛ لأن المسيح أصلاً جاء ليجمع و يوحد بين الناس فبالأولى يكون بين الإبن وأبيه ، ولكن الذي يصحح هذه الرؤيا البشرية ويجعلها وفق الروح هو أن نعتبر التفرقة هنا نوعاً من تأمين الحق الإلهي وإعلاناً عن تفوق حب المسيح وخدمته ضد طغيان اللحم والدم ، **فهنا التفرقة ذات اتجاه إيجابي** حيث يكون الإحتكاك الناتج بين مطلب الطاعة الجسدية للأب ومطلب الطاعة الروحية للمسيح مجالاً لكشف الصراع التقليدي بين الجسد والروح ، وحيث يكون الإنحياز لطاعة المسيح فوق العواطف وفوق إكرام الروابط الجسدية الممثَّلة في الأب أو الأم نوعاً من الشهادة البارعة لتفوق الروح على الجسد وسمو مكانة المسيح فوق الأسرة كلها !! وذلك دون أن تنجرح المحبة الروحية الواجبة لجميع الناس والأعداء .

حينما تستخدم الأسرة سلطانها ضد المسيح :

الإنسان ، وخصوصاً في الشرق ، قد تحصَّن داخل العواطف الأُسرية ضد كل انطلاقة روحية سليمة .

فمن النادر أن نعثر في هذه الأيام على ذلك الأب الذي يحب المسيح أكثر من أولاده !! أو تلك الأُم التي تفضل مصلحة الكنيسة ومجد المسيح على مصلحة ومستقبل أولادها المادي ؟

إن مشكلة كل شاب وكل شابة في التكريس الكامل أو في الخدمة الروحية تكاد تكون واحدة في جميع الحالات وفي كافة الأُسر سواء المتدين منها أو غير المتدين . وهي تبتدىء أولاً برفض الأب وحزن الأُم لدرجة الإدعاء بالمرض ثم بالتهديد ثم بالقمع ثم باستخدام رجال الدين ، الذين ينتفعون من الأسرة ، لمنع الشاب أو الشابة من تكريس

أليست هذه المشكلة كفيلة بإعطاء صورة مؤلمة عن حالة التدين والعبادة في الأسرة ومعياراً واضحاً لقيمة محبة المسيح وخدمته التي يوازنها الأب أو الأم بمستقبل الإبن المادي أو صحته أو بعواطفهما ، فتوجد محبة المسيح عندهما أنها لا شيء ولا تساوي شيئاً ؟

حينما قال المسيح إن « أعداء الإنسان أهل بيته » (مت ١٠ : ٣٦) ، كان يعلم تماماً ما هي قوة التيار المنبعث من سلطان الأسرة ضد أي فرد فيها يريد أن يهب حياته للمسيح أو لخدمة الإنجيل ، وكيف أن هذا التيار شديد وعنيف بسبب العواطف وشهوة الإنتفاع المادي وعُرْف الناس وتقليد الشيوخ والكرامة واعتبارات الآخرين .

لذلك كان أحد الأهداف الهامة في تعليم المسيح هو تحرير روح الإنسان من سلطان العواطف البشرية الميتة التي تنحصر داخل الأسرة المقفلة وتزيد عن حدها حتى تُفسد اكتمال نمو كل فرد فيها ، ليس من جهة الروح فقط بل ومن جهه الشخصية أيضاً .

تخلّف الأسرة عن الإنسلاخ من الطور الجسداني إلى الطور الروحاني :

ولو تعمقنا في المواقف التي تعرّض لها المسيح في موضوع الأسرة ، لاستطعنا أن نلمح تدبيراً محكماً في التعليم والتوجيه لفك القيود التي تفرضها الغريزة الحيوانية والإجتماعية والنفسية على الأب والأم والأولاد جميعاً ، التي تستغرق فيها الأسرة منطوية على ذاتها ، دون أن تنتبه إلى الخسارة العظيمة التي تصاب بها روح كل فرد من الضمور وعدم القدرة على مسايرة الروح و بذل الإنجيل .

والأنانية الأُسرية تُعمي بصيرة كثير من الأفراد ، حتى يصبح الفرد لا يحس ولا يفتخر ولا يتكلم إلا فيما يخص أسرته وإخوته ووالديه أو زوجته وأولاده !! و ينشأ الفرد غريباً عن معنى الأُخُوّة الروحية في معناها الكنسي اللاهوتي ، أي الجسد الواحد . وذلك لأنه تربى مقيَّداً نفسانياً بالأسرة ، فنشأ لا يحس ولا يؤمن إلا بجسد الأسرة أي بأبيه وأمه

وإخوته وأخواته ، بحيث أن أي ضرر يصيب الكنيسة التي هي أسرة المسيح العظمى لا يحرك له قلباً ولا شعوراً ، ولكن فقدان عضو واحد من الأسرة كفيل أن يفقده صوابه ، ويخلُّ بكيانه النفسي ويجعله يلبس ثياب الحداد كل أيام حياته ؛ بل وربما مجرد غياب أحد أفراد الأسرة أو سفره بعيداً يجعل الحياة في نظر هذا الإنسان شيئاً لايُطاق . هذا وحده كفيل لإثبات تفوق سلطان الغريزة والعاطفة فوق سلطان الروح والله ، والتعوق في قبول عزاء النعمة ، كما يُعتبر برهاناً على سقم النفس وسوء تربيتها و بُعدها عن نور الله وحرية الروح .

هذا التهالك على الإرتباط الجسداني بين أعضاء الأسرة يبدو لكثيرين أنه شيء محترم وواجب ، ولكنه في الواقع تخلُّفٌ عن الإنتقال من طور الجسد إلى طور الروح . هذا التخلف ينشيء في الأعماق سوراً من حديد يحجز الإنسان عن الإنطلاق الروحي المهيأ له في المسيح وعن أخذ مكانته الممتازة في أسرة القديسين « وأهل بيتِ الله » .

لهذا ينادي المسيح في الأسرة المتأصلة في الروابط العاطفية « ما جئت لأُلقي سلاماً بل سيفاً ، جئت لأُفرِّق الإنسان ضد أبيه والإبنة ضد أمها والكنة ضد حماتها ؛ وأعداء الإنسان أهل بيته » ! نعم يقول في إشعياء النبي ٦١ : ١ : « جئتُ لأنادي ... للمأسورين بالإطلاق » !!

الحنين إلى رفات الموتى والقبور:

الحنين إلى تراب الأرض شيء عتيق في الإنسان ، وموطن هذا الحنين الذي وُلد وتربى فيه هو الأسرة أو القبيلة في سالف الأزمان ، فالإنسان نشأ يقدس عظام موتاه ، ولعل من أقوى أسباب ذلك شعوره بالذنب أو التقصير من نحوهم . ثم يلي ذلك تأصُّل الروابط الجسدانية في وجدانه تأصلاً فائقاً يلغي كل قدرة الإنسان في التحرر من جذب الأرض !!

وحتى بعد بزوغ فجر المسيحية وانفتاح المجال الروحي للإنسان للإنطلاق إلى الوجود

الأعظم مع المسيح الذي يفوق كل خبرات اللحم والدم ، لا يزال الإنسان يقدس موتاه وعظام موتاه ، و يبكيهم أكثر مما يبكي خطاياه ، و يضيّع الأيام والليالي والأموال الطائلة للتلذذ بذكراهم وتكريم تراب قبورهم وتشييد الأبنية وتزيينها إمعاناً في التعبير عن تقديس أجسادهم واستمراراً لتثبيت العواطف اللحمية .

كل هذا ينطق بالعجز الشديد في تفهُّم الحياة الجديدة في المسيح ، لأن مثل هذا السلوك يحكم بالتخلف عن الإنتقال من الحياة حسب الجسد إلى الحياة حسب الروح .

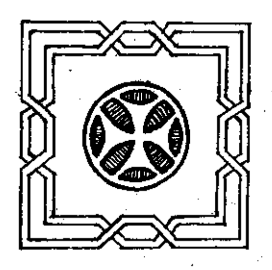
والمسيح لم يترك الإنسان نَهْباً لهذا الشعور الطوطمي الموروث وفريسة للأوهام النفسانية ، بل أعطى الإستنارة الروحية الكافية لعتق الإنسان وتحرير روحه من الإنحصار في الموتى والقبور والأجساد والذكرى والبكاء على ما كان .

كل هذا صبّه المسيح صبًّا في تعليمه عندما دعا إنساناً لكي يتبعه ، فاستأذن ذلك الإنسان من المسيح لكي يذهب أولاً و يدفن أباه الميت في البيت ، فكان توجيه المسيح هكذا : « فقال له يسوع دعْ الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب ونادِ بملكوت الله !! » (لو٩ : ٦٠)

بهذا التعليم نجد المسيح قد رفع بصر الإنسان الروحي من مستوى الإرتباط بالأرض والقبور إلى ملكوت الله ، أي إلى فوق حيث المسيح جالس ، كذلك نجد أن المسيح قد وضع حداً فاصلاً واضحاً بين خدمة العواطف والموت والأجساد والمجاملات و بين خدمة القيامة والحياة الأبدية .

ومظهر الوصية هنا يبدو خشناً للغاية ، إذ كيف يترك الإنسان أباه ميتاً في داره و يذهب يبشر الناس ويخدم ؟ ولكن لا عجب ، فهذا شأن كل الوصايا **في مظهرها** ، ولكن حينما نؤمن ونصدق ثم ننفذ بالروح حينئذ يُستعلن ملكوت الله بالحقيقة كغاية أعظم من كل غاية ونهاية أسمى من كل نهاية . إذ بهذا الإجراء تصير شهادة علنية تذاع بين

كل النـاس أن تـكـريم الـنفوس المحتاجة للحياة الأبدية أعظم من تكريم الأجساد ، وأن خـدمـة الإنجيـل أسمـى مـن خـدمـة الـعواطف الميتة ، وطالما توجد عيِّنة مختارة شجاعة تـسـتـطيـع أن تـنفذ وصاياها المسيح بأمانة فحينئذ سوف يتعلم الناس ما هو للجسد وما هو للـروح . وهـكذا فالخشونة التي في مظهر كل آية مقصودة ، وهي لكي تنبه القلوب الجافية والنفوس التي تعودت أن تخلط بين الجسد والروح .



نجاح الإنجيل

وتحرُّر روح الإنسان من جذب الجسد

ولقد نجحت وصايا المسيح بالرغم من خشونتها الظاهرية ؛ وعمّت المسيحيةُ الحقّةُ كلَّ الأجيال حتى عرفت قيمة ملكوت الله ، وارتفعت الشهادة للمسيح فوق العواطف الجسدية وفوق خشية الموت وفوق الجسد وقيمة الدفن وتكريم العظام .

□ فكلُّنا يقرأ في سيرة الآباء العطرة عن تلك الأم دولاجي التي حملت أولادها الأربعة ، وصغيرها في حضنها ، وقدمتهم للموت والإستشهاد فذبحوهم أمام عينيها ، وهي في ملء شجاعة الأمومة الروحية ، لأنها استمدت من وصايا المسيح أمومة مقدسة تعرف أن تضحي بأولادها وعواطفها على مذبح المسيح .

ـــ سلامٌ لكِ أيتها الأم دولاجي ! وسلامٌ لأولادك الأربعة ! وسلامٌ لأمومتك المقدسة العطرة وشهادتك ! التي رَفَعْتِ بها قيمة الروح على الجسد وقيمة المسيح على الحياة الزمنية الفانية وقيمة الكنيسة على الأسرة ! ... فطوبى للتي أحبت المسيح أكثر من أولادها الأربعة وأكثر من نفسها !! .

□ وفي قصة استشهاد القديسة برپتوا والقديسة فيليستاس (١) (اللتين من قرطاجنة بشمال أفريقيا) بواسطة الوحوش المفترسة ، منظر إنجيلي بالغ العبرة ، بالغ التأثير ، لا يدانيه ألف عظة وألف كتاب . فالمرأة الأولى شابة حَدَثَةٌ جداً وعلى صدرها رضيعها ، والثانية خادمتها حامل في شهرها الثامن . والإثنتان كانتا في درجة الموعوظين فقط وتعمدتا في المدة ما بين القبض عليهما وسجنهما تمهيداً لتعذيبهما وقتلهما . الأولى انتُزِع رضيعها من على صدرها إمعاناً في إغرائها للتحول عن الشهادة للمسيح فلم تتحول ،

---

(١) نُشرت ضمن كتاب «قصص مسيحية للحياة» ، كما نُشرت منفصلة في كتيب بعنوان «قصة استشهاد مؤثرة للغاية» .

والثانية وَضَعَتْ في الطريق قبل ذهابها إلى مشهد الوحوش للتعذيب بيومين ، فلم تعوقها آلام الوضع عن آلام الشهادة ، ولم تحجزها غريزة الأمومة عن قبول دعوة الموت من أجل يسوع !!

ــ آه على هاتين الشابتين الحدثتين الموعوظتين اللتين لم تحجزا الأمومة من أن تصير بجد ذاتها ذبيحة للمسيح لما طُلبت منها ! ولبن الثدي قدّمتاه محرقة طائعة طاهرة أمامه ! أما حنان قلبيهما نحو رضيعهما فسكبتاه دون تردد تحت مذبح الله كأفخر هدية قُدّمت من بني بني البشر.

سلام لكِ يا بربتوا يا من أعطيتِ نفوسنا منظراً جديداً لصليب المسيح . وكامرأة شابة صغيرة أم ، كرزتِ للعالم أجمع كيف يُحَب المسيح أكثر من الإبن الرضيع !!

سلام لكِ يا فيليستاس ، ياخادمة الأقداس في العُلا ، أيتها الروح المبرَّرة المعمَّدة بالدم ، أيتها الشجاعة جداً التي قدمتِ مخاض الولادة هدية لعريسكِ السمائي !

□ وهذه قصة أرشليدس الشاب المتَّقد حباً للمسيح الذي نذر نفسه للرهبنة على أن يعتزل الدنيا وكل أقاربه ليحيا بقلب واحد وحب واحد لمخلِّصه . كيف عاهد نفسه أن لا ينظر في وجه امرأة حتى ولو كانت أمه . وكيف نفذ وعده بصرامة ، فلما ضيقت عليه أمه لكي تراه ، صلى بحزن وحرارة لله حتى لا يحنث في وعده ، ومن حزنه سقط ومات ؛ فدخلت أمه ورأته ميتاً فانطلقت تعطي الويل لنفسها ودعت الدنيا كلها لتعطيها الويل والملامة لأنها تسببت في موت ابنها .

ــ آه سلام لذلك الفتى الذي رفع حب المسيح فوق حب أمه واشتهى الموت أفضل من أن يحنث في وعده ، نعم لقد صادق الله على حبه ووهبه الموت في حينه الحسن ! وطوبى لمن جعل الإنجيل مقروءاً في سيرته .

□ وهذا القديس أنطونيوس أعظم قديسي الكنيسة ونُسَّاكها أمر أولاده أن يخفوا

جسده عند موته حتى لا يخطىء أولاده فينصرفون إلى تكريم عظامه .

□ وأيضاً العظيم أرسانيوس أوصى أولاده أن يتركوا جسده عارياً في الجبل لطيور السماء ووحوش الأرض ، لأنه أبى أن يكرّم جسده أو حتى يُدفن دفناً عادياً ...

□ أو هذا الأسقف الأنطاكي إغناطيوس الحار بالروح الذي عاين تلاميذ الرب ، الذي بفرح لا يوصف قدم جسده للوحوش قائلاً : « دعوني أُطرح للوحوش المفترسة لأني بواسطتهم سأصل إلى الله ، أنا حبة حنطة مقدَّمة لله ستطحنها الوحوش بأسنانها فأصير خبزاً نقياً للمسيح . سوف أجتذب الوحوش المفترسة إليَّ وأُغريها حتى تصير لي مقبرتي ولا تترك أي جزء من جسدي بعد موتي ، حتى لا أكون عبئاً على أي إنسان بعد انتقالي فأصير ـ حقاً ـ تلميذاً ليسوع المسيح عندما لا يرى العالم شيئاً قط من جسدي » (من الرسالة إلى رومية)

□ أو هذا الأسقف الشيخ الطاهر المكرم بالحقيقة بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول ، كيف كان سروره وفرحه عظيمين أن يُطرح جسده ليحترق بيد المعذِّبين كشهادة حية خالدة لعزوف النفس المسيحية عن شهوة تكريم الأجساد .

رسالة الأسرة

الأسرة في خطر عظيم إذا هي لم تنفتح على معنى الأبُوّة الواحدة في الله والأُمومة الواحدة في الكنيسة والأُخوَّة المشتركة في المسيح بالروح . لابد من كسر الحواجز التي يبنيها الجسد أولاً بأول حتى لا يغلق علينا الجسد فيما له و يضيِّع علينا وعلى أولادنا نصيبنا الأسمى في الله .

المسيح يلح علينا أن نكف عن أن ندعو لنا أباً على الأرض حتى ننتبه إلى الأبُوَّة العالية الدائمة التي لنا في الله ، التي تنبثق منها كل الأبُوَّات الجسدية . فإذا لم توصل أبوة الجسد إلى أبوة الله النابعة منها ، فهي تكون حينئذ غريبة عن الله الذي ولدها من روحه وحينئذ تفقد معناها وكرامتها الروحية الواجبة .

+ لابد للأسرة لكي تحتفظ بكيانها الإلهي الخالد أن تتنازل عن إكتفائها بالروابط الجسدية التي تشدُّ بها أفرادها معاً فتحرمهم ــ دون أن تدري ــ من أبوَّة الله وأُمومة الكنيسة وأُخوَّة المسيح .

+ لابد لكل أب أسرة لكي يعيش في المسيح حقاً أن يتنازل عن أبوَّته بكل حقوقها لله فيعلِّم أولاده أن الله ينبغي أن يُحَبَّ و يُطاع كأب أوحد للأسرة والكنيسة معاً .

+ ولابد لكل أم لكي تعيش في المسيح حقاً أن تتنازل عن كل حقوقها لله فلا تعود تربيهم لنفسها ولكن للمسيح وللكنيسة .

و بذلك تنتقل المشاعر في الأولاد من الأب والأم إلى الله بسهولة كوضعها المسيحي الذي يطلبه الإنجيل ، و بذلك تخلد الأسرة في الله وتُضَمُّ برمَّتها إلى الكنيسة ثم الملكوت .

مقالات تصلح للخدام والشباب:

١. الخدمة (٣ أجزاء معاً)
٢. المسيحي في المجتمع
٣. المسيحي في الأسرة
٤. كيف تقرأ الكتاب المقدس
٥. في التدبير الروحي
٦. توجيهات في الصلاة

تطلب من
دار مجلة مرقس
٥٠ «ا» شارع شبرا ــ القاهرة
المراسلات ص. ب. ٣١ شبرا ــ القاهرة
تليفون ٧٧٠٦١٤
ومن مكتبات المحبة والنيل المسيحية ودار الثقافة والمنارة ومكتبات الكنائس